دراسة أفكار ابن تيمية حول التجسيم

الدكتور مرتضى مولوي وردنجاني (الكاتب المسؤول)
مدرس، قسم المعارف الإسلامية في جامعة العلوم الزراعية والمصادر الطبيعية، خوزستان، إيران
خريج دكتوراه الكلام الشيعي، جامعة أمير المومنين، المستوى الرابع، مديرية حوزة قم العلمية، إيران
Morteza.molavi12@gmail.com
الدكتور سيد محمد حسين ميري
أستاذ مشارك، قسم المعارف الإسلامية، جامعة العلوم الزراعية والمصادر الطبيعية، خوزستان، إيران
miri@asnrukh.ac.ir
الدكتور عبدالهادي صالحي زاده
أستاذ مساعد، قسم المعارف الإسلامية، جامعة العلوم الزراعية والمصادر الطبيعية، خوزستان، إيران
salehizadeh@asnrukh.ac.ir

Studying Ibn Taymiyyah's ideas about anthropomorphism

Dr. Morteza Mawlavi Vardanjani (Responsible writer)
Lecturer , Department of Islamic Knowledge, University of Agricultural Sciences and Natural Resources , Khuzestan , Iran
Dr. Syed Muhammad Hussain Miri
Associate Professor , Department of Islamic Knowledge , University of Agricultural Sciences and Natural Resources , Khuzestan , Iran
Dr. Abdolhadi Salehizadeh
Assistant Professor , Department of Islamic Knowledge , University of Agricultural Sciences and Natural Resources , Khuzestan , Iran

المخلص:-

إن قضية التجسيم من أبرز المباحث الكلامية التي تناولها علماءُ التشيع وكانت لهم آراء متعدد في هذا الصدد. نلاحظ ان متكلّمي السنة والشعية كليهما يرفضون فكرة التجسيم الا انه هناك من يؤمن بهذه الفكرة؛ ومن بينهم ابن تيمة احد اعمدة أهل السنة والفكر الوهّابي. وكان البعض من أهل السنة يحاول تلطيف الامر ويبرر الأمر كماان ابن تيمة نفسه كان ينفي عن نفسه فكرة التجسيم؛ الا ان أفكاره كانت تثبت ذلك وهذه العقيدة هي ما عُرفت في التاريخ بالتجسيم.

الكلمات المفتاحية: التجسيم، ابن تيميه، الصفات الخبرية، رب العالمين تعالى.

Abstract:-

The issue of anthropomorphism is one of the most prominent verbal topics dealt with by scholars of Shiism, and they had multiple opinions in this regard. We notice that both Sunni and Shiite theologians reject the idea of anthropomorphism, but there are those who believe in this idea. Among them is Ibn Taymah, one of the pillars of Ahlus-Sunnah and Wahhabi thought. And some of the Sunnis were trying to soften the matter and justify the matter, as Ibn Tayma himself was denying himself the idea of anthropomorphism; However, his thoughts proved that, and this belief is what has been known in history as embodiment.

Keywords: anthropomorphism, Ibn Taymiyyah, attributive attributes, the Lord of the Worlds, the Most High.

المقدمة:ـ

الصفات الخبرية لله تعالى من ابرز المباحث الكلامية وان لعلماء المذاهب الإسلامية آراء متعددة حولها فصفات اليد والعين والوجه...التي تروي نقلا الا ان العقل يرفضها هي من تسمي بالصفات الخبرية لانها جاءت بالأخبار الورادة وهي تنقسم ثلاثة أقسام ولكل منها نظريات خاصة فالبعض يظهرها بهيئة التجسيم والتشبيه والبعض يرى بالتفويض والبعض يرى سعي إلى تأويلها الا ان الشيعة كانوا يسيرون على هدي الائمة d لذا يؤولون هذه الصفات.

ونحن نسعى في هذه الرسالة إلى تحليل المباني الفكرية لإبن تيمية حول التجسيم والتشبيه المنسوب إلى صفات الله تعالى.

التجسيم في نظر ابن تيمية:

هناك عبارات في كتب ابن كتب ابن تيمية تظهر بضوح فكرة التجسيم وهي صريحة في ذلك يستنبط منها القارئ فكرته بجلاء.

لإثبات فكرة ابن تيمية حول التجسيم يمكن الروجع إلى آرائه حول قضية التجسيم الا انه بعض الأحيان يتحثد عن التجسيم الا انه لا يبدي رأي بوضوح فهو لا ينفي ذلك ولا يؤيده كما نجد ذلك في كتاب «درء تعارض العقل والنقل» بعد ان تناوله لصفة الصمد يتناول الايتين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١] و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٢] فيتحدث عن التجسيم بقوله:

«فانّه لا يدلّ على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل و لا على نفي ما يسمّيه أهل الاصطلاح جسما بوجه من الوجوه»[٣].

«ان هذه الايات لا تنفي الصفات ولا تدل على جسمانية الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا».

في مضوع آخر يصرح: «وليس في كتاب اللّه ولا سنّه رسوله ولا قول أحد من سلف الأمّه وأئمّتها أنّه ليس بجسم وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً؟ ! فنفي المعاني الثابته بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل، جهل وضلال»،[٤].

وجاء في كتاب «الله وسنة نبيه الأكرم i لم تاتي اشارات من السلف والصحابة تنفي جسمانية الله تعالى وهذا النفي يدل على ضلال وتحبط في فهم الشرع وسيرة السلف حول الموضوع.

كذلك فان ابن تيمية في كتاب «مجموع فتاوي» يتحدث عن التجسيم ويبين رالآية: «والكلام في وصف اللّه بالجسم نفياً وإثباتاً بدعه، لم يقل أحد من سلف الأمّه وأئمتها إنّ اللّه ليس بجسم، كما لم يقولوا إن اللّه جسم»(٥).

إن نفي وإثبات جسمانية رب العالمين تعالى بدعة لم يصرح بها علماء الامة السلف لا تاييدا ولا رفضا وبذلك لم يتحدثوا عنها.

كذلك يصرح في موضع آخر:

«فإسم المشبّهه ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنه ولا كلام أحد من الصحابه والتابعين»(٦).

فهنا نرى ابن تيمية يحتاط في عباراته ولم يصرح بوضح حول عقيدته بالتجسيم الا انه إذا دققنا في عباراته نجد ان تشير إلى التجسيم عيل سبيل المثال فان كتاب «مجموع فتاوي» يتحدث مجيبا على سوال حول الصفات الخبرية لله تعالى بقوله:

رأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله على عرشه الذى هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الارض»(٧).

كما يتحث ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة» حول الله تعالى ورويته تعالى:

«قد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات و يشير اليه الناس عند الدعاء بأبديهم و قلوبهم و وجوههم و أعينهم فان أراد بقوله: ليس بجسم هذا المعنى قيل له هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول و صريح المعقول وأنت لم تقم دليلا على نفيه»(٨).

كما يصرح في كتاب «بيان تلبيس الجهميه» أيضاً فيقول:

«وليس في كتاب اللّه ولا سنه رسوله ولا قول أحد من سلف الأمه وأئمتها أنّه ليس

بجسم، وأنّ صفاته ليست اجساما وأعراضا»[٩].

ويصرح ابن تيمية بانه لم تأتِ في كتاب الله وسنته والسلف الصالح نصوص واضحة تؤكد على جسمانية الله.

ويتحدث في كتاب «العقيده الواسطيه» عن مكانة الله تعالى فيقول:

«وتواتر عن رسوله صلى اللّه عليه وسلم وأجمع عليه سلف الأمه من أنّه سبحانه فوق سماواته، على عرشه، علا على خلقه»[١٠].

ويستنبط من كلامه ان الله تعالى جالس فوق عرشه على السماوات وهو أعلى من خلقه.

كما يصرح ابن تيمية في موضع آخر من الكتاب على ان كل الموجودات القائمة بالنفس جسما وان الله تعالى قائم بنفسه: «أن الموجود القائم بنفسه لا يكون إلا جسماً، وما لا يكون جسماً لايكون إلا معدوماً. ومن المعلوم أن هذا أقرب إلى الفطره والعقول من الأول.»[١١].

إن هذه العبارات ليست فقط نماذج عن عقيدة ابن تيمية حول التجسيم بل ان الذي يتمعن فيها يجد انه كان يسعى إلى إثبات جسمانية الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وان تكون تلك الفكرة ثابتة راسخة في الكلام الاسلامي.كما ان الروايات التاريخية تدل على انه تطرق لهذا الامر في كثير من المناسبات والمواضع من كتبه حتى ان في عهد الكثير من الملوك تم استدعائه بتهمة التجسيم واستفسر عن عقيدته في هذا الصدد.ومن ابرز من تناول ذلك المورخون الحصني ي كتابه "دفع شبه من شبه"[١٢] و ابن بطوطه في كتابه "رحله ابن بطوطه"[١٣]. كما ان آراء ونظرات كبار علماء أهل السنة والجماعة حول التجسيم كانت احيانا تستند إلى راي ابن تيمية وهذا ما نشرحه في ما يلي من البحث بالتفصيل.

فكرة ابن تيمية لدي علماء أهل السنة:

في ما سبق شرحنا افكار ابن تيمية بناءا على كتبه.اما في هذا القسم فنركز على الكتب التاريخية التي تناولت فكرته لي أهل السنة.

ابن بطوطة (المتوفي ٧٧٩ هـ)

يصرح ابن بطوطة في رحلته إلى دمشق:

وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابله تقي الدين بن تيميه، كبير الشام، يتكلّم في الفنون، الّا انّ في عقله شيئاً. و كنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعه و هو يعظ الناس على منبر الجامع و يذكرهم، فكان من جمله كلامه ان قال: انّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا... (١٤).

فهنا يصرح ابن بطوطة ان ابن تيمة كان يؤكد على ان الله تعالى يينزل في يوم الجمعة.

ابن الوردي (المتوفي ٧٤٩ هـ)

يصرح ابن الوردي أيضاً حول ابن تيمية:

استدعي الشيخ إلى مصر وعقد له مجلس، واعتقل بما نسب إليه من التجسيم(١٥).

فهنا يشير ابن تيمية ان تيمية كان يتم استدعائه من قبل السلطة وستفسر حول افكاره.

تقي الدين ابوبكر بن محمّد حسيني حصني الشافعي (المتوفي ٨٢٩ هـ)

يصرح تقي الدين ابوبكر الشافعي عن ابن تيمية:

إنّ ابن تيميه الذي كان يوصف بانّه بحر من العلم، لايستغرب فيه ما قاله بعض الأئمه عنه من انّه زنديق مطلق. و سبب قوله ذلك انّه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى انّه في مواضع عديده يكفر فرقه و يضلّلها، وفي آخر يعتقد ما قالته او بعضه، مع انّ كتبه مشحونه بالتشبيه والتجسيم، والإشارة إلى الازدراء بالنبي i والشيخين وتكفير عبدالله بن عباس و انّه من الملحدين، وجعل عبدالله بن عمر من المجرمين و انّه ضالّ مبتدع...

كما يصرح في موضع آخر حول ابن تيمية:

والحاصل انّه و اتباعه من الغلاه في التشبيه و التجسيم و الازدراء بالنبي i وبغيض الشيخين، و بإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء، و لهم دواهي أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظه واحده... (١٦).

عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن علي بن محمود (المتوفى ٧٣٢ هـ)

ونرى عماد الدين ابو الفدا في كتابه «المختص في اخبار البشر» ج٢، ص٣٩٢ يصرح ان ابن تيمية في عام ٧٠٥ تم استدعائه إلى دمشق وتمت معاقبته حول عقيدته في التجسيم.(١٧)

أبو حيان محمد ابن يوسف ابن حيان الأندلسي (المتوفي ٧٤٥هـ)

يصرح ابو حيان حول ابن تيمية:

«في بداية الامر كان ابن حيان يستعظم ابن تيمية حتى انه مدحه بشعره الا انه بعد ان اكتشف انحرافه وعرف فكرة التجسيم شرع بتأنيبه ورفض فكرته.وقيل انه في درس كتاب العرش لابن تيمية واستنبط منه انه كان مجسما.»[١٨].

نقد نظرية التجسيم:

إن الاعتقاد بالتجسيم له جذور في الاديان والمذاهب التاريخية وكان الانبياء والرسل d يصارعون المعتقدين بهذه الأفكار وكان القران يرفض هذه الفكرة ويشير اليها في العديد من الآيات كما في حديه عن قوم موسى عندنا ارادوا ان يروا الله تعالى جهرة في سورة البقرة في الاية ٥٥ التي شرحت الامر بالتفصيل.

يرى الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل ان التجسيم ناتج عن احاديث موضوعة وروايات يهودية دخلت الاسلام كما صرح في ذلك في كتابه "ملل و نحل" في الصفحة ١١٧): وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديث متعددة في مسائل التجسيم والتشبيه وكلّها مستمدّة من التوراه.

إن اليهود الذين اسلموا كثيرا ما نقلوا روايات حول الجسمانية وادخلوها في الشريعة الإسلامية وكان مصدرها التوراة.

ان اسباب التجسيم عديدة من ضمنها رغبة البعض بتجسيد الإله فهم يحبون ان يكون اللهم حسيا ملموسا الا ان السبب الرئيسي لذلك هو وجود الآيات المتشابهة التي تبدي ان الله جسما وهو ما أفضي إلى نشوء فرقة المجسمة.

لذا فان الحل الوحيد هو الرجوع إلى القران والتاكيد على الآيات التي تنفي جمسانية الله تعالى ومن ابرزها ما يلي:

١. سورة المجادله الآية ٧: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ

﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فهنا تشير الايات ان الله يعلم بما في المساوات والارض لذا فهو ليس جزءا منها.

٢. سورة البقرة الآية ١١٥: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، تؤكد هذه الآية على ان الله في كل الامكنة لذا فان جسمانية الله تعالى امر محال إذ انه في حال كونه جسما فان سيكون في مكان محدد.

٣. سورة الشورى الآية ١١: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، هنا تؤكد الاية ان الله لا يشبه شيئا وهو سميع وبصير بكل الامور.

٤. سورة محمد الآية ٣٨: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، هنا تؤكد الآية ان الله غني وذلك يعني عن غني عن كل شي وحتي عن الجسم.

٥. سورة التوحيد آية ٢: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، فهذه الايات تشير إلى ان الله غني مطلق سبحانه ما يعني ان جسمانيته محال إذ ان الجسم مركب من اجزاء والاجزاء تتلازم ويطلب بعضها بعضا كي تتكون وتشكل كلا واحدا وبذلك فهي صفة نقص والله لا ينقصه شيء وبذلك يتنافي مع غني الله تعالى الذي اكده في الايات.

٦. سورة الانعام الآية ١٠٣: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، هنا تؤكد الاية ان الله لا تدكره العيون لذا فهو لي بجسم.

٧. سورة الاعراف، الآية ٤٣: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾، فهذه الآية أيضاً تدل على عدم جسمانية الله تعالى إذ انه استخدم حرف نفي «لن» التي تنفي المستقبل وهي جواب لمن كان يركد ان الله لا يرى في الدنيا ويري في الاخرة فاستبط علماء الشيعة منها ان الله تعالى لن يرى في الدنيا والآخرة، وهكذا فهي نفت الروية جملة وتفصيلا واكدت على انه ليس بجسم كي يرى في الدنيا والآخرة[١٩].

فضلاً عن الايات السابقة التي وردت في كتاب الله تعالى وتنزيهه عن التجيسم فان هناك ادلة علقلية اكدت على بطلان جسمانية الله تعالى كما في راي العلماء ومنها:

١. ان جسمانية الله تعالى تتطلب ان يكون جسما والجسم محدود بمكان وزمان وهذا امر لا ينتناسق مع الله تعالى

٢. ان كل جسم يشتكل من أجزاء وهي تتطلب بعضها وتشكل معا كلا واحدا وإذا تفككت فانها تنتهي وهذا امر لا يصح في حق الله تعالى.

٣. إذا ما كنا نعتقد بان الله تعالى جسما مركبا فان ذلك يتناقض مع وحدانية الله وصمديته وبذلك فان الجسمانية باطلة.

النتيجة:

إن ابن تيمية سعي إلى يبتعد عن فكرة التجسيم ويبري نفسه منها الا ان عباراته توحي باعتقاده بفكرة التجسيم. ربما سبب لذكف هو تناقضه في صوله الفكرية واعتقاده بان القران لا يحتوي على المجاز وعندما يصل إلى الآيات المتشابهة يحملها على معناها الظاهري ويرفض اي تفسير وتاويل لها لذا فهو يقبل بوجود اليد والعين والوجه لله جل وتعالى الا انه كي لا يتم اتهامه بالتجسيم قام بنقد فكرة التجسيم حتى انه اتهم الشيعة بانهم من المجسمة في بعض المواضع. وقد ثبت من الايات والادلة العقلية ان الجسمانية امر باطل لدي الشيعة والسنة وان كان هناك البعض القليل يعتقد به.

هوامش البحث

(١) الشورى، الآية ١١.

(٢) مريم، الآية ٦٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، ج١، ص ٦٦، الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ ق.

(٤). التأسيس في ردّ أساس التقديس، ابن تيميه، ج ١ ص١٠١، دارالاسلام، سعودي، ١٤٢٥.

(٥).مجموع فتاوي، ابن تيميه، ج ٥، ص ١٩٢، ناشر: دار الوفاء، الطبعة الثلاثة، ١٤٢٦ ق.

(٦). بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعهم الكلاميه، ابن تيميه، ج ١، ص ١٠٩، ناشر: مطبعه الحكومه - مكه المكرمه، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ ق.

(٧). مجموعة فتاوي، ابن تيميه، مجمع الملك فهد لطباعه المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية - ١٤١٦ق.

(٨). منهاج السنة، ابن تيميه، ج ١،ص ١٨٠، الناشر: مؤسسه قرطبه، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ق.

(٩). بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعهم الكلاميه، ابن تيميه، ج ١، ص ١٠١، ناشر: مطبعه الحكومه - مكه المكرمه، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ ق.

(١٠). مجموعه الرسائل الكبرى، الرساله التاسعه، ابن تيميه، ج١، ص٤٠١، الناشر: لجنه التراث العربي، چاپ اول.

(١١). بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعهم الكلاميه، ابن تيميه، ج ١، ص ٣٥٩، ناشر: مطبعه الحكومه - مكه المكرمه، چاپ اول، ١٣٩٢ ق.

(١٢). دفع شبه من شبه، ص٤١.

(١٣). رحله ابن بطوطه، ج١، ص٩٠، به نقل از الوهابيه و التوحيد، على الكوراني العاملي، ص٥٥

(١٤) رحله ابن بطوطه، ج١، ص٩٠، به نقل از الوهابيه و التوحيد، على الكوراني العاملي، ص٥٥

(١٥). تتمه المختصر، ج ٢، ص ٣٦٣.

(١٦) دفع شبه من شبه، ص٤١.

(١٧) عماد الدين ابو الفداء، المختص في اخبار البشر، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩

(١٨). درالكامنه، ابن حجر عسقلاني، ج٢، ص١٢٣، ناشر: دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ ق .

(١٩) تفسير نمونه، الآية الله مكارم شيرازي.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١- ابن تيميه، درء تعارض العقل والنقل، الناشر: دار الكنوز الأدبيه - الرياض، ١٣٩١ ق.

٢- ابن تيميه، التأسيس في ردّ أساس التقديس، دارالاسلام، سعودي، ١٤٢٥.

٣- ابن تيميه، مجموع فتاوي، ناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ ق.

٤- ابن تيميه، بيان تلبيس الجهميه في تأسيس بدعهم الكلاميه، ناشر: مطبعه الحكومه - مكه المكرمه، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢ ق.

٥- ابن تيميه، منهاج السنة، الناشر: مؤسسه قرطبه، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ق.

٦- ابن تيميه، مجموعه الرسائل الكبرى، الرساله التاسعه، الناشر: لجنه التراث العربي، الطبعة الأولى.

٧- تقي الدين ابي بكر الحصني الدمشقي، دفع شبه من شبه، المكتبه الأزهريه للتراث، قاهره.

٨- ابن بطوطه رحلة ابن بطوطة، طهران - ايران، عام الطبع: ١٣٧٦ هـ.ش.

٩- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنه، ناشر: دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ ق .

١٠- ناصر مكارم الشيرازي، تفسير نمونه، قم، انشتترات أهل بيت d ، ١٣٩٥.

١١- الشهرستاني الملل والنحلل، مصر، مطبعة الازهر، ١٩٩٦.

١٢- عماد الدين ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩